مختارات من حكمة القديس نيقولا فيليميروفيتش

إعداد أسرة التراث الأرثوذكسي

عدم المساواة

إن عدم المساواة هو أكثر حكمة من المساواة ومفَضَّلٌ عليها. لقد تمّ اتّخاذ عدم المساواة كأساس للعالم المخلوق. يجب أن نفرح بهذه اللامساواة ولا نتمرد عليها، لأنها وُضِعَت بالمحبة لا بالكراهية، بالحكمة لا بالاختلال. حياتنا ليست بائسة بسبب نقص المساواة، بل بسبب نقص المحبة والتفاهم الروحي في ما بيننا. أضِفْ المزيد من محبة الله وفهماً روحياً أفضل للحياة وسترى أنّه حتى ضُعف عدم المساواة لا يمكن أن يبطل النعيم الذي سيشعر به الناس. الناس غير متساويين لأن الحاجة إليهم ليست نفسها: لم يكن الإسكندر الأكبر وديوجين على نفس الضعف؛ بطرس وأليكسيوس أيضاً لم يكونا قادرين على المحبة بنفس القدْر؛ لم يكن بولس ويهوذا مناسبين للعدالة بشكل متساوٍ.

إن جعل كل شيء متساوياً يؤدي إلى إضعاف الخليقة. تقوم الحياة على عدم المساواة.

إذا نظرت بعناية إلى نفسك، فسترى أنك فعلياً لا تريد المساواة. ما تريده في الواقع هو رفع الصغير والضعيف إلى نفس مستوى العظيم والقوي. هذا طموح نبيل جداً. ولكن، لأنك لا تملك القدرة على رفع الصغير والضعيف، فإنك تخفّض العظماء والأقوياء إلى المستوى الأدنى.

إذا كنت تهتم بالحياة، فلا بد أيضاً أنك تهتم بالفوز. لكن الحياة التي تحتوي على كلمة انتصار، يجب أن تحتوي أيضاً على كلمة عدم المساواة. أعطى الله القوة للأقوياء حتى يتمكنوا من مساعدة الضعيف، الثروة للأثرياء حتى يتمكنوا من القيام بأعمال الخير، الحكمة للحكماء ليعلّموا الجاهل ويُفهِموا الحمقى.

لقد شارك الرب مواهبه بين الناس بطريقة غير متكافئة، وبسبب هذا التفاوت، سيكون هناك نشاط مستمر في حياة الناس. لا يلام أحدٌ على أنه لم يدخل هذه الحياة بإمكانيات أكبر، لكنه سيكون مسؤولاً إن لم يطوّر مواهبه إلى أقصى حد، إن لم يستخدم مواهبه لتبرير وجوده وإتمام رسالته.

"حِدْ عن الشر، واصنعْ الخير" (مزمور ٣٣:١٥)

تلخص هذه الكلمات كل الجهود التي يجب أن نبذلها هنا في العالم، على الأرض، بجسدنا الأرضي الطبيعي. ما المعنى الذي يجب أن يكون لعملنا وماذا يجب أن يكون هدفه؟ إنه اكتساب عادتين: أولاً تجنب الشر؛ وثانياً فعل الخير.

يخبرنا ضميرنا ما هو خير وما هو شر، ولكن جزئياً فقط دون أن يكون واضحاً، لأن الخطيئة تظْلِمه. من ناحية أخرى، في ما يتعلق بما هو صالح وما هو شرير، فإن تعليم المسيح يتحدث إلينا بشكل كامل وواضح.

أيها الإخوة والأخوات، ما الذي يريده المسيح منا؟

إنه يطلب أنه، تماماً كما يتّجه هيكل كنائسنا دائماً إلى الشرق، كذلك يجب أن تتطلع أرواحنا دائماً نحو الخير. يجب أن نترك الشر وراءنا في الظل؛ يجب أن نترك الشر في هاوية النسيان؛ يجب أن نترك الشر في ظلام

الماضي. يجب أن نصل إلى الخير؛ يجب أن نفكّر في الخير؛ يجب أن نتوق إلى الخير. يجب أن نتحدّث عن الخير؛ وأن نفعل ما هو صالح.

المسيح يريد بُناةً لا مدمرين. إذا بنيتَ ما هو صالح، في نفس الوقت، ومن خلال نفس الإجراء، فإنك تدمّر ما هو سيئ. ومع ذلك، إذا شرعتَ في تدمير ما هو سيئ، فسوف تنسى قريباً كيفية بناء الخير وستصبح فاعلًا شريراً. يعلّمنا رسول المسيح: "كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ" (رومية ٩:١٢). أكره الشر، ولكن ليس مَن يفعل الشر، لأنه ليس على ما يرام. إذا استطعتَ،اِشفِ هؤلاء المرضى، لكن لا تقتلهم بكراهيتك. تشبّث بالخير وبه وحده، لأن الخير ينبع من الله وهو تابوت عهد كل شيء صالح.

أيها الرب الصالح الكلي الرحمة، علّمنا أن نتجنّب الشر ونفعل الخير،لمجدك وخلاصنا، لأنه بك يليق كل إكرام وعبادة إلى الدهور. آمين.